البعد الإبستمولوجي في نظرية المعرفة الموضوعية عند كارل بوبر

الدكتور إبراهيم رزوق* محمود حسن**

ملخّص

مثّلت نظرية المعرفة الموضوعية أحد أهم النظريات التي أسهمت في تطوير مناهج البحث العلمي ، كونها أدت دوراً مهماً ورائداً في تحديد الأسس المنطقية والعلمية في فلسفة العلم بما يسهم في استنتاج نماذج علمية من المعارف الموضوعية ، والتي تهدف إلى صياغة نظريات علمية موضوعية وحقائق موضوعية قابلة للقياس المنطقي ، حيث إنّ الهدف الأساس لنظرية المعرفة الموضوعية هو البحث في كيفية نمو المعرفة وأسس تطوير المعرفة العلمية ، وضمن هذا السياق أسست الإبستمولوجيا الموضوعية لمعرفة ذات مبادئ متطورة بما يحقق التقدم العلمي المستمر ، وهذا يسهم بدوره في انجاز عملية البحث الموضوعي العلمي بما يحقق الغاية المعرفية من نظرية المعرفة الموضوعية .

ويعدّ فيلسوف العلم كارل بوبر من أبرز مؤسسي نظرية المعرفة الموضوعية ، حيث شكلّت الإبستمولوجيا الموضوعية عند كارل بوبر القاعدة الأساسية لنظرية المعرفة الموضوعية عنده ، وذلك من خلال الدور الإبستمولوجي الذي قام به فيلسوف العلم كارل بوبر من خلال تأكيده في أبحاثه حول الإبستمولوجيا الموضوعية على : انتقال فلسفة العلم من منطق تبرير المعرفة العلمية ومحاولة تأكيد مصداقيتها إلى منطق التقدم والكشف العلمي ، وأكد كارل بوبر على أن السمة الأساسية لنظريات المعرفة العلمية والفلسفية هي إمكانية تكذيبها وقابليتها المستمرة للنقد العلمي من أجل تصحيح الأخطاء العلمية القائمة ، وإعادة صياغة النظريات العلمية بما يتناسب مع المعطيات العلمية الراهنة ، بما يحقق التطور العلمي المستمر .

الكلمات المفتاحية : الإبستمولوجيا ، نظرية المعرفة ، الموضوعية ، المنهج الموضوعي .

* أستاذ ، قسم الفلسفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سوريا .
** طالب دراسات عليا (دكتوراه) ، قسم الفلسفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سوريا .

The epistemological dimension in Karl Popper's objective epistemology

Dr. Ibrahim Razzouk* **Mahmoud Hassan****

ABSTRACT

Objective epistemology was one of the most important theories that contributed to the development of scientific research methods , As it played an important and pioneering role in defining the logical and scientific foundations in the philosophy of science, which contributes to deducing scientific models from objective knowledge, Which aims to formulate objective scientific theories and objective facts that are logically measurable , Since the main objective of objective epistemology is to research how knowledge grows and the foundations for developing scientific knowledge , Within this context, objective epistemology established knowledge with advanced principles in order to achieve continuous scientific progress , This, in turn, contributes to the completion of the objective scientific research process in order to achieve the cognitive goal of objective epistemology.

*professor , Dept. of philosophy , faculty of arts humanities , Tishreen university , Lattakia , Syria .

**PHD student, Dept. of philosophy , faculty of arts humanities , Tishreen university , Lattakia , Syria .

The philosopher of science, Karl Popper, is considered one of the most prominent founders of objective epistemology ، Whereas Karl Popper's objective epistemology constituted the basic basis of objective epistemology , And that is through the epistemological role played by the philosopher of science Karl Popper through his emphasis in his research on objective epistemology on: the transition of the philosophy of science from the logic of justifying scientific knowledge and trying to confirm its credibility to the logic of progress and scientific discovery ، Karl Popper emphasized that the main feature of scientific and philosophical epistemology is the possibility of its falsification and its continuous openness to scientific criticism in order to correct existing scientific errors , And reformulating scientific theories in proportion to the current scientific data, in order to achieve continuous scientific development .

Keywords: Epistemology, theory of knowledge, objectivity, objective method .

مقدمة:

تأسست نظرية المعرفة الموضوعية على الفكرة العلمية القائلة بأن : المنهج العلمي الموضوعي هو أساس المعرفة الموضوعية ومصدرها ، ولا يمكن أن تتكون المعرفة من دون وجود الموضوعات العلمية التي تشكّل الطرف الأساسي في عملية المعرفة والبحث العلمي ، وبذلك أكدت نظرية المعرفة الموضوعية بأن : المنهج العلمي الموضوعي هو الضرورة الأساسية التي ترتكز عليها عملية البحث العلمي الموضوعي .

وهذا ما أكده أتباع الإبستمولوجيا الموضوعية وعلى رأسهم : فيلسوف العلم كارل بوبر الذي بيَّن في فلسفته الموضوعية العلمية ذات الطابع النقدي العقلاني أنَّ : جميع النظريات العلمية قابلة للنقد العلمي من دون استثناء ، وإن قابلية أي نظرية علمية للدحض العلمي هو دليل على امتلاك هذه النظرية العلمية لخاصية الموضوعية العلمية ، وضمن هذا السياق : تأسست فلسفة كارل بوبر على معيار التكذيب المستمر للنظريات العلمية ، حيث أكدّ بوبر على أن المعرفة العلمية هي معرفة موضوعية وليست ذاتية .

ويؤكد كارل بوبر على أن السمة الأساسية للإبستمولوجيا الموضوعية هي أنها إبستمولوجيا تطورية ، وبالتالي كان لنظرية التطور عند دارون أثر واضح وكبير في الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر ، ولذلك تعد فلسفة العلم عند بوبر بأنها إبستمولوجيا تطورية داروينية ، حيث اعتمد بوبر في فلسفته العلمية على فكرة التطور العلمي ضمن منهجه في البحث العلمي ، حيث أعلن بوبر أن منهجه العلمي هو منهج المحاولة والخطأ ، ويعدّ بوبر أنّ النظريات العلمية ليست ثابتة بل هي في تغير مستمر وتطور دائم ، وإن هذا التطور العلمي المستمر للنظريات العلمية يعود سببه للواقع الموضوعي المتغيّر الذي يؤثر بشكل مستمر على النظريات العلمية ويطورها وفقاً للمعطيات العلمية الموضوعية الموجودة في الواقع العلمي الموضوعي والتي تؤثر بشكل مباشر في المضمون المعرفي للنظريات العلمية .

وقرر كارل بوبر بأنَّ : معيار التكذيب هو المعيار الأساسي في فلسفته العلمية ، حيث يتم استخدام معيار التكذيب لتقييم المحتوى المعرفي للنظريات العلمية وذلك من خلال المنهج الموضوعي ، وذلك بهدف تمييز المعرفة العلمية عن المعرفة اللاعلمية ، وبذلك

أسهم بوبر في إحداث نقلة نوعية للمعرفة العلمية على صعيد المنهج العلمي والمخزون المعرفي الخاص بكل معرفة علمية .

مشكلة البحث وأسئلته :

تعدّ إشكالية المعرفة الموضوعية من أبرز الإشكاليات الإبستمولوجية التي بحث فيها فلاسفة العلم وعلى رأسهم فيلسوف العلم كارل بوبر الذي أسس لمذهبه الخاص بالمعرفة الموضوعية ، حيث أكدّ بوبر في فلسفته الموضوعية أنَّ المعرفة موضوعية المنشأ ، واعتبر بوبر بأن المشكلات العلمية هي نقطة البدء في الإبستمولوجيا الموضوعية عنده وذلك بهدف البحث الموضوعي والكشف العلمي عن الأسس التي ترتكز عليها المعرفة الموضوعية ، وذلك في سياق استنتاج قوانين تطور المعرفة الموضوعية ، واستناداً على ذلك أسس بوبر معرفته الموضوعية على مجموعة من المبادئ والمعايير المنطقية الموضوعية ، ومن أهم هذه المعايير : معيار قابلية التكذيب العلمي ومعيار المعرفة من أجل المعرفة ، وضمن هذا السياق المعرفي وضع بوبر قواعد منهجه الموضوعي الذي رفض من خلاله منهج الاستقراء ، حيث اعتبر بوبر بأن الاستقراء هو مجرد خرافة لأنه يقدم معرفة ذاتية غير موضوعية ، وإن أهم سمة من سمات المنهج العلمي الموضوعي عند بوبر هو أنه منهج نقدي يعمل باستمرار على نقد النظريات العلمية بهدف اكتشاف مواطن الخطأ فيها ، وذلك في سياق تطوير المعرفة العلمية بشكل دائم ، وبالتالي صاغ بوبر الإبستمولوجيا الموضوعية عنده وفقاً لنظرية التطور عند دارون ، حيث اعتبر بوبر بأن المعرفة تتطور مع مرور الزمن ولذلك عمل بوبر من خلال استخدام منهجه الموضوعي على اكتشاف آلية تطور المعرفة وذلك بهدف تحقيق أعلى قيمة من الصدق الموضوعي الذي يتناقض مع المعرفة الذاتية ، لأنها معرفة تعتبر أن الذات العارفة هي مصدر المعرفة وبالتالي تخضع المعرفة الذاتية لميول الذات العارفة وأهوائها المتعددة ، بما يجعل المعرفة الذاتية تخرج عن نطاق الموضوعية العلمية ولذلك رفض بوبر المعرفة الذاتية رفضاً قاطعاً واعتبرها معرفة غير علمية .

وضمن هذا السياق الإبستمولوجي : سنقوم في هذا البحث بدراسة وتحليل البعد الإبستمولوجي في نظرية المعرفة الموضوعية عند بوبر ، وتقديم دراسة نقدية لمبادئ

المعرفة الموضوعية عند بوبر وذلك بهدف اكتشاف القيمة العلمية والإبستمولوجية للمنهج الموضوعي عند بوبر .

وإنّ ما سبق ذكره يثير لدينا مجموعة من الأسئلة الهامة :

_ ما هي أهم المعايير والمبادئ المنطقية التي بنى بوبر عليها نظريته الموضوعية في المعرفة ؟

_ وما هي القيمة الإبستمولوجية لهذه المعايير الموضوعية ؟

_ وما هو مفهوم المنهج العلمي الموضوعي عند بوبر ؟

_ وما هي القواعد المنهجية التي يرتكز عليها المنهج الموضوعي عند بوبر ؟

_ وكيف استطاع بوبر أن يوظّف نظرية التطور عند دارون في بناء نظريته في المعرفة الموضوعية ؟

_ وما هو الدور الإبستمولوجي للعقلانية الموضوعية عند بوبر ؟

_ كل هذه الأسئلة السابقة وما تحمله من استفسارات غامضة ومعانٍ غير معروفة : شجعتني على البحث في إشكالية : البعد الإبستمولوجي في نظرية المعرفة الموضوعية عند بوبر ، وذلك بهدف البحث عن الأهمية الإبستمولوجية لنظرية بوبر في المعرفة الموضوعية .

ووفقاً لما تقدّم : قُسِّم هذا البحث إلى أربعة محاور بحثية رئيسية بهدف اكتشاف الإجابات عن التساؤلات التي تضمنتها إشكالية البحث السابقة الذكر .

وهذه المحاور البحثية هي على الترتيب التالي :

_ المحور الأول : المعايير المنطقية للمعرفة الموضوعية عند بوبر

_ المحور الثاني : المفهوم الإبستمولوجي للمنهج الموضوعي عند بوبر

_ المحور الثالث : التوظيف الإبستمولوجي لنظرية التطور في بناء المعرفة الموضوعية

_ المحور الرابع : الدور الإبستمولوجي للعقلانية الموضوعية عند بوبر

أهمية البحث :

تعدّ نظرية المعرفة الموضوعية عند بوبر من أهم النظريات الإبستمولوجية التي أسهمت في ابتكار العديد من المصطلحات والمفاهيم العلمية التي كان لها دوراً بارزاً في تطور نظرية المعرفة بشكل عام ، بالإضافة إلى ابتكار المنهج العلمي الموضوعي الذي وضع قواعده فيلسوف العلم كارل بوبر ، وهذا ما أعطى للإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر بعداً إبستمولوجياً مهماً ، بحيث أسهمت الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر في تطوير الواقع العلمي من خلال تطوير النظريات العلمية ، وهذا ما أكسب الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر أهمية معرفية كبيرة .

ومن هذا المنطلق تكمن أهمية البحث في البعد الإبستمولوجي في نظرية المعرفة الموضوعية عند كارل بوبر من أجل توضيح الدور الإبستمولوجي لنظرية المعرفة الموضوعية عند بوبر في البحث المعرفي والتطور المعرفي للنظريات العلمية .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث: إلى تقديم دراسة نقدية وتحليلية للبعد الإبستمولوجي في نظرية المعرفة الموضوعية عند كارل بوبر ، وذلك من أجل توضيح الدور المعرفي للمنهج الموضوعي عند كارل بوبر ، ومن أجل تمييز المعرفة العلمية عن المعرفة اللاعلمية ، وذلك للبحث في الدور الإبستمولوجي لفلسفة العلم عند بوبر ، وذلك بهدف الكشف عن آلية التطور الإبستمولوجي للمحتوى المعرفي للنظريات العلمية التي يتم تقييمها علمياً بشكل دائم من خلال منهج التكذيب عند بوبر من أجل تبيين الدور الإبستمولوجي للمنهج العلمي الذي اتبعه بوبر في عملية البحث العلمي ، وهذا ما تسعى فلسفة العلم لتوضيحه بشكل دائم ، بهدف تقديم النقد العلمي الصحيح للمعرفة العلمية بما يساهم في تصحيح المسار المعرفي للنظريات العلمية بشكل دائم ومستمر .

منهجية البحث :

اقتضى البحث في موضوع (**البعد الإبستمولوجي في نظرية المعرفة الموضوعية عند كارل بوبر**) استخدام المنهج النقدي التحليلي ، وذلك لتقديم دراسة نقدية وتحليلية للمفاهيم الإبستمولوجية التي تضمنتها نظرية المعرفة الموضوعية عند بوبر ، ومن أهم هذه المفاهيم : مفهوم المنهج العلمي الموضوعي ، ومفهوم الإبستمولوجيا التطورية ، ومفهوم قابلية التكذيب العلمي ، بالإضافة لتوضيح الأثر الإبستمولوجي للمفاهيم العلمية التي استخدمها بوبر في فلسفته العلمية ، وذلك بهدف اكتشاف التغيّرات والتحولات المنهجية التي أثرّت في البناء العام للبحث العلمي والمعرفي ، ومن أجل معرفة الأبعاد الإبستمولوجية لنظرية المعرفة الموضوعية عند بوبر وللمفاهيم الإبستمولوجية المرتبطة بهذه النظرية ، وذلك على الأصعدة المعرفية والعلمية كافة .

مصطلحات البحث :

ـ الإبستمولوجيا (Epistemology) : هي مصطلح تعود جذوره إلى اللغة اليونانية ، ويتألف مصطلح الإبستمولوجيا من شطرين يونانيين ، الشطر الأول : (Episteme) ويعني المعرفة العلمية ، والشطر الثاني : (Logos) ويعني العلم أو النظرية أو العقل ، واعتماداً على هذا الاشتقاق اللغوي يتفق معظم المشتغلون بالإبستمولوجيا في معرض تحديدهم هويتها على أنها ذلك الاختصاص الذي يتخذ من المعرفة العلمية حصراً ، أي الإبستمي (Episteme) : موضوعاً له، ويختلفون في فهمهم لمعنى اللوغوس (Logos) ، فالذين يرون اللوغوس مجرد عقل للتفسير والتقويم يؤكدون على أن منهج الإبستمولوجيا تابع لمملكة الفلسفة وبالتالي فإن الإبستمولوجيا ليست سوى تفكير فلسفي في العلم ، أما أولئك الذين يعدون اللوغوس علماً فإنهم ينظرون للإبستمولوجيا على أنها علم المعرفة العلمية والذي يمكن أن يضاف إلى قائمة العلوم ، والإبستمولوجيا كمصطلح تستخدم مرة بمعنى نظرية المعرفة، ومرة بمعنى علم المعرفة العلمية ، ومرات بمعنى (**فلسفة العلوم**) .

حتى إنّ مؤسس الإبستمولوجيا المعاصرة غاستون باشلار (Gaston Bachelard) : يستخدم مصطلح الإبستمولوجيا تارةً بمعنى فلسفة العلم وتارةً أخرى بمعنى العقلانية التطبيقية ، ويدعوه أحياناً بفلسفة الرفض ، وأحياناً أخرى بالفلسفة المفتوحة .

ومن التعريفات الاصطلاحية التي أعطيت للإبستمولوجيا والأكثر استخداماً من قبل المختصين هو تعريف آندريه لالاند (Andre Lalande) الذي يعتبر أن الإبستمولوجيا هي : الدراسة النقدية للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية ، وهي الدراسة الهادفة إلى بيان أصلها المنطقي لا النفسي ، وقيمتها الموضوعية ، ومع ذلك فإن مصطلح الإبستمولوجيا في اللغة الإنكليزية مرادف لمصطلح نظرية المعرفة ، أما في اللغة الفرنسية فيعني مصطلح الإبستمولوجيا : فلسفة العلوم .

_ المنهج العلمي (Scientific method) : هو طريقة إجرائية ميّزت العلوم الطبيعية منذ القرن السابع عشر ، وتتكون من المراقبة المنهجية والقياس والتجربة وصياغة الفرضيات واختبارها وتعديلها .

_ المنهج الموضوعي (objective method) : هو المنهج العلمي الذي يساعد على الوصول إلى المعرفة الموضوعية ، وذلك بخلاف المناهج العلمية الأخرى التي تعتمد على قواعد منهجية ذاتية، غير موضوعية، ولا تصلح لبناء المعرفة الموضوعية ، ويعرّف كارل بوبر المنهج الموضوعي في كتابه منطق الكشف العلمي بأنه هو : منهج العلم ، المنهج النقدي ، منهج المحاولة والخطأ ، منهج اقتراح الفروض الجريئة ، وتعريضها لأعنف نقد ممكن ، كي نتبين مواطن الخطأ فيها .

_ المنهج الذاتي (subjective method) : هو المنهج الذي تعتمد عليه نظرية المعرفة الذاتية ، ويعتمد المنهج الذاتي على العقل الإنساني بوصفه المنبع الرئيسي للحقائق والمعارف المرتبطة بها ، ويعتبر أتباع المنهج الذاتي في المعرفة بأنَّ الحقيقة ذاتية ، ويبني أتباع المنهج الذاتي قواعدهم المنهجية والمعرفية وفقاً للذات العاقلة وأحكامها العقلية الذاتية .

_ معيار قابلية التكذيب (falsifiability standard) : هو المعيار العلمي الذي وضعه فيلسوف العلم كارل بوبر في نظريته الخاصة بالإبستمولوجيا الموضوعية ، وقابلية التكذيب هي خاصية إمبريقية (empiricism) بمعنى تجريبية ، ويتصف بها كل نسق علمي ، حيث إن بقاء قانون علمي قابل للتكذيب يكفي لأن يستحوذ على الصفة العلمية إلى أنّ يتم تكذيبه .

_ نظرية المعرفة (Theory of knowledge) : هي البحث في طبيعة المعرفة وأصلها وقيمتها ووسائلها وحدودها ، وهي البحث في المشكلات الفلسفية الناشئة عن العلاقة الجدلية بين الذات والموضوع ، أو بين العارف والمعروف ، فهي مبحث فلسفي في أصل المعرفة وماهيتها وحدودها ودرجة اليقين فيها .

_ نظرية المعرفة الموضوعية (The theory of objective knowledge) : وهي النظرية التي تعدّ بأن المعرفة ذات منشأ موضوعي ، وإن الموضوعات الموجودة في الكون الموضوعي هي المصدر الوحيد للمعرفة، وأسست نظرية المعرفة الموضوعية لمفهوم الحقيقة الموضوعية الذي يعدّ بأن الحقائق توجد فقط بشكل موضوعي مستقل عن الذات العارفة وميولها الذاتية والنفسية المتعددة والتي تؤثر بشكل سلبي في تحصيل المعرفة والحقائق المرتبطة بها ، ويعدّ فيلسوف العلم كارل بوبر من أبرز روّاد نظرية المعرفة الموضوعية .

_ نظرية المعرفة الذاتية (The theory of subjective knowledge) : وهي النظرية التي تعدّ بأنَّ الذات الإنسانية العاقلة هي المصدر الوحيد للمعرفة في الوجود ، حيث يعدّ أتباع نظرية المعرفة الذاتية بأنَّ : الذات الإنسانية تمتلك كياناً ذاتياً مستقلاً عن الواقع الموضوعي المحيط بها ، وتنفرد الذات الإنسانية بالعقل الذي يعدّ المنبع الأول للمعرفة ، وأسّس أتباع نظرية المعرفة الذاتية لمفهوم الحقيقة العقلية الذي يعدّ بأن العقل الإنساني هو المصدر الوحيد للحقائق في عالم المعرفة .

_ نظرية التطور (The theory of evolution) : هي النظرية التي وضعها عالم الأحياء الإنكليزي تشارلز دارون (Charles Darwin) وتنصّ على أنَّ : دنيا الطبيعة

فيها سلسلة لا تنتهي من الكفاح من أجل الحياة ، إذ ينقضّ الحيوان الوحشي على غيره فيهلكه ، وكذلك تتنافس جميع الكائنات الحية في الحصول على الغذاء والماء والمأوى ، فما كان منها الأقوى والأسرع والأصلب ، فهو الذي يبقى ، أما الضعيف فيهلك ، والأنواع القوية القادرة على الفتك بمنافسيها ، القادرة على التكيف مع البيئة تبقى وتحكم بالفناء على الأنواع الضعيفة الأقل تكيفاً مع البيئة ، وعلى هذا النحو يتم الانتخاب الطبيعي ، ويسمى مذهب دارون : بالداروينية ، وقدّم دارون في مذهبه إسهامات متميزة في براهينه لإثبات آلية تطور الكائنات الحية واكتشاف مبدأ الانتخاب الطبيعي وقابلية توريث التباين والفروقات الوراثية بين الكائنات الحية ، وكيف أن هذا المبدأ ووراثة التباين هما علة التطور ، وتعتبر الداروينية أنها : مذهب التحوّل أو التبدل الذي يؤكد على أنَّ الأنواع تنشأ بعضها عن بعض ، ولاسيما النوع الإنساني الذي ينحدر عن الأنواع الحيوانية التي ترجع إلى أصل واحد أو عدة أصول ، والداروينية هي القول بأن تبدل الأنواع ناشئ عن مبدأ الانتخاب الطبيعي ، وهي بهذا المعنى مقابلة لمذهب لامارك وسبنسر التطوري ، والذي يقرّ بأن تبدل الأنواع ناشئ عن التكيف بوساطة الممارسة والوراثة .

أولاً : المعايير المنطقية للمعرفة الموضوعية عند بوبر

تعدّ فلسفة العلم عند بوبر بأنها إبستمولوجيا ثورية ذات أبعاد موضوعية وركائز منطقية ، حيث أسّس بوبر فلسفته العلمية الموضوعية على مجموعة من المعايير والمبادئ الموضوعية العلمية ، ويوضّح كارل بوبر بأنَّ : أهم معيار من معايير المعرفة الموضوعية عنده هو : معيار قابلية التكذيب، حيث يبين بوبر بأنه : نستطيع من خلال تطبيق معيار قابلية التكذيب أنّ نميّز المعرفة الموضوعية عن المعرفة غير الموضوعية ، ويعدّ بوبر بأنَّ : معيار قابلية التكذيب هو القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها الإبستمولوجيا الموضوعية عنده، حيث يتم تطبيق معيار قابلية التكذيب على المعارف من أجل تمييز المعارف الموضوعية عن المعارف غير الموضوعية .

ومن هذا المنطلق يوضّح بوبر بأنَّ أهم سمة من سمات المعرفة الموضوعية هو أنها معرفة تقبل مبدأ التكذيب المنطقي ، بينما المعرفة غير الموضوعية فهي معرفة لا تقبل مبدأ التكذيب المنطقي ، وبالتالي : (لقد سعى بوبر إلى تطوير مفهوم معياره التكذيبي انطلاقاً من تفسيره لحركة العلم وتطور أنساقه بشكل مستمر ، فالخطوة الأخيرة التي صاغها لتساهم في بلورة معياره هي أنّ النظريات العلمية متفاوتة الدرجة من حيث قابليتها للتكذيب ، وذلك وفقاً لمقتضيات محددة تتمثل في توافر الركائز التي تحدث البحث بصددها فيما سبق ، فكل ركيزة تسهم في زيادة أو نقصان درجة القابلية للتكذيب ، حيث إنَّ القضايا الأساسية وما تنطوي عليه من فئات ، وكذلك قابليتها للاختبار ومحتواها المنطقي والتجريبي ، كل ذلك يؤثر في عملية انتقاء المؤسسة العلمية لنظرية دون أخرى ، حيث تكون درجة قابليتها للتكذيب أعلى وفقاً للتصور البوبري) [1] .

ويبين بوبر بأن تفاوت النظريات العلمية في قابليتها للتكذيب هو دليل على تفاوت هذه النظريات في درجة موضوعيتها العلمية ، وبالتالي كلّما امتلكت النظريات المعرفية درجة عالية من قابلية التكذيب المنطقي، كلّما امتلكت هذه النظريات المعرفية درجة عالية من الموضوعية العلمية .

وضمن هذا السياق المعرفي يبين بوبر بأنَّ : الإبستمولوجيا الموضوعية عنده تتأسس أيضاً على المعيار الموضوعي (المعرفة من أجل المعرفة)[2] ، ويشكّل هذا المعيار الموضوعي صلب الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر ، حيث يعدّ بمثابة حد منطقي فاصل بين المعرفة الموضوعية والمعرفة غير الموضوعية ، وبالتالي وفقاً لهذا المبدأ الموضوعي ، يتجسد هدف المعرفة الموضوعية بالبحث المنهجي والموضوعي عن المعرفة بهدف المعرفة فقط ، وهذا بدوره يعدّ تحقيقاً لأعلى درجات الموضوعية العلمية ،

1 _ اختيار ، ماهر : إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2010 ، ص 174 .

2 _ شيفرد ، ليندا: أنثوية العلم ، ت: د. يمنى الخولي ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1990 ، ص 136.

وبذلك يؤكد كارل بوبر على سلطة العلم الموضوعية التي تتجسد في مبدأ : المعرفة من أجل المعرفة ، ويوضّح بوبر ضمن هذا الإطار المعرفي بأنّ مقياس صدق الأفكار هو تحقيقها لمبدأ المعرفة من أجل المعرفة ، وابتعادها عن الرغبات والمصالح الذاتية المرتبطة بالمعرفة الذاتية ، وبذلك يميّز بوبر بين المعرفة الموضوعية والمعرفة الذاتية من خلال رؤيته الإبستمولوجية بأنَّ : (المعرفة لا تستحق أسمها إلاّ إذا كانت موضوعية ، وتكون موضوعية حين تقبل النقد وتقطع صلتها بكل ذات ، فإن فعلت كشفت عن أنها وجود مستقل قائم بذاته)[3] ، وبالتالي فإن المعرفة الموضوعية بحسب بوبر هي المعرفة البعيدة عن اعتقادات الذات وأهوائها الذاتية المتعددة ومصالحها الشخصية المختلفة ، وبالاستناد على ذلك : (تتكون المعرفة الموضوعية، من وجهة نظر بوبر، من الأفكار العلمية والفلسفية، ومن مخزونات العقول الإلكترونية وكل النظريات المصوغة، خلاف تلك الذاتية التي تتكون من الاعتقادات، ومن حالات العقل وحالات الشعور، ومن النزوعات وردود الأفعال، فالمعرفة بهذا المعنى اعتقادات الذات، ما تقرّه أو ما تنكره، معرفة لا تنفصل عن الذات العارفة، ولها دائماً شكل واحد هو : أنا أعرف، أو أنا أعتقد وهو شكل من المعرفة لا يحتمل الخطأ أبداً، وبالتالي لا يقبل النقد أبداً طالما أن ما أعتقده، أعتقده فعلاً)[4] .

ويؤكد بوبر بأن معيار قابلية التكذيب يعطي للمعرفة الموضوعية بعداً منطقياً وقيمة منهجية وذلك لأن المعارف الموضوعية التي تخضع لمعيار قابلية التكذيب هي معارف علمية تقبل الخضوع للاختبارات العلمية من أجل التأكد من صدق أفكارها العلمية ، وبالتالي يعتبر مبدأ قابلية الاختبار العلمي الذي يخضع له المحتوى المعرفي للنظريات العلمية هو المقياس العلمي لصدق المضمون العلمي لهذه النظريات والأفكار التي تتضمنها ، وبالتالي : (إن منهج بوبر ومعياره التكذيبي لا يتجسدان إلاّ من خلال الاختبار التجريبي للقضايا الأساسية ، فهو يرى أن صيرورة العلم لا تستمر في تغيير مفاهيمها وثورية نظرياتها إلاّ عن طريق تلك الاختبارات القاسية لأنساقها النظرية ، ومن

3 _ خير بك ، فؤاد : من الإبستمولوجيا إلى المجتمع ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 2002 ، ص 42 .
4 _ المرجع السابق نفسه ، ص 42 .

هنا يمكن القول إن الاقتناع الذاتي وخبرة الباحث لا مكان لهما في المنهج والمعيار اللذين اعتمدهما بوبر)[5] .

وبالتالي يتجسد معيار المعرفة الموضوعية عند بوبر في : أنّ تكون المعرفة والنظريات العلمية المرتبطة بها قابلة للاختبار العلمي بشكل دائم ومستمر ، ويؤكد بوبر بأنه : كلما كانت النظرية العلمية أفضل من غيرها من النظريات العلمية الأخرى في قابلية الاختبار ، كلما كانت أكثر موضوعية ، ويتبين من خلال ما تقدم بأنَّ : (قول بوبر بأنه كلما كانت النظرية العلمية قابلة للتكذيب أكثر فقد حازت على الصفة العلمية أكثر، يدفعنا للقول بأنه كلما استطاع العلم تغيير وتطوير مناهجه ومعاييره أكثر فإنه سيقارب الواقع المتغير أكثر، وذلك لعدم وجود قاعدة عامة وشاملة لعملية الكشف العلمي، فلكل فرض أو قانون أو نظرية : الظروف المحيطة الخاصة التي أنتجتها)[6] .

ونستنتج مما تقدم بأن : فيلسوف العلم كارل بوبر قد وضع مجموعة من المعايير المنطقية من أجل تمييز المعرفة الموضوعية عن المعرفة غير الموضوعية ، ومن أهم هذه المعايير : معيار قابلية التكذيب المعرفي الذي يقرر بأنه : كلما كانت المعرفة قابلة لتكذيب محتواها المعرفي ، كلما كانت أكثر موضوعية ، ومن بين أهم المعايير التي اعتمدها بوبر في تحديد موضوعية المعرفة أيضاً هو معيار : المعرفة من أجل المعرفة ، حيث بيّن بوبر في هذا المعيار: أن المعرفة الموضوعية لها هدف واحد فقط وهو تحقيق المعرفة، وذلك بعيداً عن الدوافع الشخصية والمصالح الذاتية التي ترتبط بالذوات وأهوائها المتعددة.

وبالاستناد على ذلك ميّز بوبر بين المعرفة الموضوعية والمعرفة الذاتية ، فالمعرفة الموضوعية عند بوبر هي المعرفة الصادقة والحقيقية التي تتضمن مخزونات الكتب

5 _ اختيار ، ماهر : إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2010 ، ص 170 .

6 _ اختيار ، ماهر : إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2010 ، ص 375 .

والعقول والمعارف والنظريات العلمية ، بينما المعرفة الذاتية فهي المعرفة الخاطئة والنسبية والمحدودة والتي ترتبط باعتقادات الذات وأهوائها المتعددة ودوافعها المختلفة .

ثانياً : المفهوم الإبستمولوجي للمنهج الموضوعي عند بوبر

تميّزت فلسفة العلم عند كارل بوبر بأنها إبستمولوجيا موضوعية ذات نزعة عقلانية نقدية ، بحيث ارتكزت بشكل أساسي على المنهج الموضوعي الذي أقرّه كارل بوبر والذي يعتمد على النقد العقلي كقاعدة أساسية من أجل تمييز المعرفة العلمية عن المعرفة اللاعلمية ، بما يسهم في الوصول إلى الحقيقة العلمية ، وعرّف بوبر المنهج الموضوعي في كتابه منطق الكشف العلمي بقوله : (منهج العلم هو المنهج النقدي ، منهج المحاولة والخطأ ، منهج اقتراح الفروض الجريئة ، وتعريضها لأعنف نقد ممكن ، كي نتبين مواطن الخطأ فيها)[7] .

وضمن هذا السياق المعرفي أطلق بوبر مصطلح المنهج الموضوعي على منهجه العلمي الإبستمولوجي، وذلك تأكيداً على أنّ منهجه الموضوعي هو المنهج العلمي الذي يساعد على الوصول إلى المعرفة الموضوعية ، وذلك بخلاف المناهج العلمية الأخرى التي تعتمد على قواعد منهجية ذاتية، غير موضوعية، ولا تصلح لبناء المعرفة الموضوعية، ومن بين المناهج العلمية التي قام بوبر بنقدها واعتبرها بأنها غير صالحة لبناء المعرفة الموضوعية : منهج الاستقراء، حيث يعتبر بوبر بأن منهج الاستقراء قد أدى إلى تأخر التطور العلمي وذلك لأنه يعتمد على مبدأ الملاحظة الذاتية للباحث والتي يعتبرها أصحاب المنهج الاستقرائي بأنها الخطوة الأولى في بناء المعرفة الذاتية ، لذلك اعتبر بوبر بأن منهج الاستقراء منهج خاطئ لأنه منهج ذاتي غير موضوعي، ولأنه بعيد أشد البعد عن قواعد المنهج الموضوعي التي تسهم بشكل مباشر في تأسيس المعرفة الموضوعية ، ويؤكد بوبر بأن : (سبب الوقوع في مشكلة الاستقراء، هو أنّ العلماء يميزون بين نشاطهم العلمي والعلم الزائف بالطريقة نفسها التي يميّزون بها بين علمهم

7_ Karl R. Popper , Logic of Scientific Discovery , eighth impression , Hutchinson , London , 1976 , p . 54 .

واللاهوت والميتافيزيقيا، وقد اصطنعوا منهج الاستقراء بوصفه أداة تمييز بهذا الصدد منذ فرنسيس بيكون ، ومن ناحية أخرى كان لدى العلماء شغف عند تبرير النظريات بردِّها إلى منابع معرفية معينة مقارنة بما يقومون به بدرجة الوثوق الموجودة في منابع الدين والعقائد)[8] .

ويؤكد بوبر في فلسفته العلمية بأن المعرفة الموضوعية هي بناء علمي دائم التطور قاعدته الأساسية هي المنهج الموضوعي ، ويوضّح بوبر في نظريته المنهجية بأن المنهج الموضوعي عنده يتكون من الخطوات التالية :

(1_ المشكلة وهي : عادة تفنيد لنظرية موجودة.

2_ الحل المقترح أي : نظرية جديدة.

3_ استنباط القضايا القابلة للاختبار من النظرية الجديدة .

4_ الاختبار : أي محاولة التفنيد بواسطة التحقق والتجريب من ضمن وسائط أخرى .

5_ الأخذ بأفضل الحلول ، أي النظرية الأفضل من بين مجموعة النظريات المقترحة المتنافسة .)[9]

ويتبين من خلال عرض بوبر لخطوات المنهج الموضوعي عند بأن المعرفة الموضوعية تبدأ دائماً من المشكلات وتنتهي بصياغة النموذج العلمي الأفضل الذي يبقى في حالة منافسة علمية دائمة من أجل إثبات صدقه الموضوعي .

وضمن هذا السياق قام بوبر بنقد المعرفة الحسية التي يعدّها أغلب الفلاسفة بأنها نقطة البداية في نظرية المعرفة ، بحيث يتم استخدام الحواس باعتبارها المدخل الأول للوصول إلى الحقائق المعرفية واستنتاج القوانين العلمية المرتبطة بها (ولكن بوبر قام بنقدها

8_ Popper(Karl): Unended Quest An Intellectual Autobiography , OP .Cit , p . 79 .

9_ Bryan Magee , Karl Popper , edited by frank kermod , Viking Press New York , secone edition , 1973 , p . 50 .

وعدّها مجرد تشويش واضطراب بسيط ، على الرغم من أنها قدمت الأساس المنطقي لمعظم النظريات الفلسفية الحديثة عن المعرفة)[10] .

ويؤكد كارل بوبر أن من أبرز أهداف المنهج الموضوعي هو بناء معرفة موضوعية تتصف بالصدق الموضوعي الذي يتم التوصل إليه من خلال إتباع قواعد المنهج الموضوعي الذي يرتكز على عملية النقد الدائم للنظريات العلمية بما يحقق التطور المستمر لنظرية المعرفة الموضوعية ، وهذا ما يسميه كارل بوبر بالمذهب الموضوعي في المعرفة ، حيث إنّ (كل مذهب يقرر أنّ الذهن يستطيع أنّ يصل إلى إدراك حقيقة واقعية ، قائمة بذاتها ، مستقلة عن النفس المدركة ، فهو مذهب موضوعي والموضوعية هي وصف لما هو موضوعي ، وهي بوجه خاص مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه ، فلا يشوّهها بنظرة ضيّقة ، أو بتحيّز خاص)[11] .

وضمن هذا السياق اعتبر فيلسوف العلم كارل بوبر بأن المعرفة الحسية القائمة على الاعتبارات الذاتية هي معرفة ليست موضوعية ، لأن المعرفة الذاتية هي معرفة تابعة لرؤية محدودة وغير متطورة لأنها تعتمد على المنهج الذاتي المرتبط بتوجهات الذات العارفة التي تتأثر سلباً بمجموعة من المتغيرات الذاتية التي تنعكس بشكل خاطئ على البناء المعرفي الناتج عن المعرفة الذاتية ، ولذلك اعتبر بوبر بأن المعرفة الموضوعية يجب أن تخلو بشكل كامل من جميع الانفعالات التابعة للذات والتي تؤثر بشكل سلبي على عملية تحصيل المعرفة الموضوعية ، وهذا هو الأساس الموضوعي الذي أنشأ كارل بوبر عليه نظريته الموضوعية في المعرفة ، ويتبين من خلال ما تقدم أنّ : (الموضوعية العلمية تدرّب العقل على رؤية العالم بطريقة تحليلية مجرّدة)[12] .

10_ جمول ، د. إبراهيم : نظرية المعرفة العلمية بين المنهج والتطبيق ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2011، ص 29.

11_ صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي ، الجزء الثاني ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 ، ص (449 ، 450) .

12_ شيفرد ، ليندا : أنثوية العلم ، ت: د. يمنى الخولي ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1990 ، ص 134.

وعلى هذا الأساس يؤكد بوبر بأن المعرفة الموضوعية تقوم على أساس البحث الموضوعي عن الحقائق الموضوعية والتي تتصف بأنها حقائق متطورة لا تقف عند حدود علمية معينة ، بل إن آفاق التطور العلمي والتقدم المعرفي عند بوبر هي آفاق علمية مفتوحة على شتى أنواع المعارف والعلوم المتنوعة ، وهذا ما يجعل المعرفة الموضوعية عند بوبر تكتسب باستمرار ميزة المصداقية العلمية ، وذلك كونها معرفة مفتوحة وغير مقيدة بالنزعات الذاتية التي تحدّ من عملية التطور المعرفي والعلمي .

وبناءاً على ذلك تكون المعرفة الموضوعية عند بوبر مبنية على قواعد متينة من الموضوعية العلمية والتي ينتج عنها معارف تتصف بالأمانة العلمية البعيدة عن التحيّز المعرفي تجاه مذهب معرفي معين ، بحيث يعمل بوبر في الإبستمولوجيا الموضوعية عنده على الأخذ بالأسباب الموضوعية العلمية لكي يصل إلى النتائج الموضوعية التي ترتبط بالأسباب الموضوعية بشكل وثيق ، وبذلك يصبح الهدف الأساسي للمعرفة هو تحصيل المعرفة فقط ، وذلك بعيداً عن المصالح الذاتية ، وهذا يساهم بدوره في عملية التطور المعرفي والعلمي المستمر القائم على المنهج الموضوعي العلمي الذي يحقق قيمة الصدق الموضوعي .

ويقرر بوبر بأن المنهج الموضوعي هو النموذج العلمي الأفضل ، كونه يساعد فلاسفة العلم على بناء نظريات معرفية موضوعية وغير متأثرة بالتحيّز المعرفي الذاتي ، وبهذا يعمل المنهج الموضوعي على توجيه عملية البحث المعرفي نحو الموضوعات بعيداً عن الذات ، وذلك لأن بوبر يعتقد بأن المعرفة تكمن في الموضوع وليس في الذات ، حيث يعتبر بوبر بأن الموضوع المعرفي هو المصدر الأساسي لكل المعارف القائمة والتي سيتم اكتشافها لاحقاً من خلال المنهج الموضوعي ، وبذلك يؤكد بوبر بأن الإبستمولوجيا الموضوعية (تتكون من الأفكار العلمية والفلسفية ومخزونات الكتب والعقول الإلكترونية ، أي كل النظريات المصاغة لغوياً) [13] .

13_ الخولي ، يمنى : فلسفة كارل بوبر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1989، ص 86 .

وهكذا تعتمد النظريات العلمية في فلسفة العلم على المنهج الموضوعي الذي يوجّه المعرفة بشكل موضوعي نحو دراسة الموضوعات المحيطة بالذات العارفة من خلال اكتشاف العلاقات السببية القائمة بينها بهدف استنتاج المعارف الموضوعية المرتبطة بها.

وإن أهم ما يميز المعرفة الموضوعية عند بوبر هو السعي الدائم لتحصيل قيمة الصدق المنطقي الموضوعي ، بحيث إن هذه القيمة المنطقية توجد فقط في المعرفة الموضوعية وفي النظريات المبنية عليها ، لأن المعرفة الذاتية لا تستطيع تحقيق قيمة الصدق المنطقي الموضوعي بسبب عدم تطبيقها لقوانين الموضوعية العلمية ، وبهذا الشكل يوجه بوبر أنظار فلاسفة العلم نحو دراسة العالم الطبيعي المليء بالموضوعات المادية ، وذلك من أجل دراستها بشكل موضوعي دقيق بهدف الوصول إلى العلاقات العلمية التي تربط بين الظواهر الموضوعية العلمية والتي تفسّر جميع التغيرات التي تطرأ على المعرفة باستمرار ، وهذا هو الأساس المعرفي الذي بنى بوبر عليه فلسفته الموضوعية في المعرفة ، حيث جعل بوبر من المنهج الموضوعي القاعدة الأساسية لأية عملية بحث معرفي موضوعي .

ومن بين أهم مميزات المنهج الموضوعي عند بوبر هو أنه منهج موضوعي مفتوح على جميع أنواع المعارف والعلوم وبعيد عن الأطر الذاتية التي تقيّد عملية البحث الموضوعي عن المعرفة ، وهذا ما دفع بوبر لاستخدام النقد كأحد أهم الأدوات المعرفية التي يعتمد عليها منهجه الموضوعي ، حيث يقول بوبر : (ولكنني أجد أنّ النظريات العلمية ليست أبداً مما يقبل التبرير أو التحقيق تماماً ، وإنما هي مما يقبل الاختبار ، ومن ثم فإنني سوف أقول أن موضوعية القضايا العلمية تكمن في الحقيقة القائلة بأنه يمكن اختبارها على نحو ذاتي متبادل) [14] ، ويتبين بذلك بأن المنهج الموضوعي عند بوبر يقوم على مبدأ الاختبار العلمي الموضوعي للمعارف ، بهدف التأكد الدائم من مصداقيتها ، وهذا هو جوهر الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر .

14 _ بوبر ، كارل : منطق الكشف العلمي ، ت : د. ماهر محمد ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986، ص 81 .

حاول بوبر في فلسفته العلمية الموضوعية أن يُلبس صفة الموضوعية العلمية على جميع أطراف المعرفة ، وضمن هذا السياق يتبين بأنَّ : (ما يقصده بوبر بالموضوعية هنا هو أن تكون نظرياتنا عن تلك الخبرات الذاتية أو عن تلك العقول ينبغي أن تكون نظريات موضوعية مثلها مثل بقية النظريات ، والنظرية الموضوعية في نظره هي تلك النظرية التي تقبل البرهنة والتي يمكن أن تتعرض للنقد العقلي والتي نفضّلها على غيرها استناداً إلى قابليتها للاختبار ، وتمتد الموضوعية التي ينادي بها بوبر لتشمل مجالات عديدة منها : الإبستمولوجيا ، وفيزياء الكم ، والميكانيكا الإحصائية ، ونظرية الاحتمال ، وعلم الأحياء وعلم النفس ، والتاريخ)[15] .

وضمن هذا السياق يميّز بوبر بين المعرفة الموضوعية والمعرفة الذاتية ، حيث يتبين من خلال تحليل فلسفة كار بوبر العلمية بأنه يعتبر بأن المعرفة الذاتية هي معرفة ترتكز بشكل أساسي على الذات العارفة ، بينما المعرفة الموضوعية فهي معرفة ترتكز على الموضوعات التي تشكل القاعدة الأساسية لأية معرفة علمية حيث يوضح بوبر بأن : (المعرفة بالمعنى الموضوعي هي معرفة بدون عارف ، أي إنها معرفة بدون ذات عارفة) [16] .

ويؤكد بوبر بأن من بين أهم النتائج التي يتم التوصل إليها في المعرفة الموضوعية هو تحقيق قيمة الصدق الموضوعي والتي تعتبر القيمة الأساسية في المعرفة الموضوعية ، حيث يقول بوبر : (وهكذا أعارض بشدة الذين يخافون الصدق ، هؤلاء الذين يعتقدون أنّ الأكل من شجرة المعرفة خطيئة لا تغتفر) [17] ، وبذلك يجعل بوبر من عملية البحث

15 _ قاسم ، محمد : كارل بوبر نظرية المعرفة قي ضوء المنهج العلمي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1986 ، ص45.

16 – popper, karl : objective knowledge, an evolutionary app–roach , oxford, at the clarendon press , 1972 , p 109 .

17 – popper , karl : intellctual autobiography , in schilpp , 1974 , part 1 , p : 155 .

المعرفي عن الحقائق الموضوعية عملية مفتوحة وغير مقيّدة ، بحيث يهدف من عملية البحث الموضوعي عن المعارف الموضوعية إلى استبعاد جميع الأخطاء المعرفية التي تحدّ من عملية التطور المعرفي والتي تقيّد عملية التقدم العلمي عند مستوى معين ، ولذلك يؤكد بوبر باستمرار على أهمية منهج النقد العلمي الموضوعي في عملية البحث العلمي عن المعرفة الموضوعية .

وأكد كارل بوبر في فلسفته العلمية على أن النقد الموضوعي هو ما يميّز المعرفة الموضوعية عن المعرفة الذاتية ، حيث تميّزت الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر بالثبات العلمي على فكرة النقد العلمي الموضوعي والتي أكد بوبر على ضرورة استخدامها في عملية البحث العلمي عن المعرفة ، وضمن هذا السياق تسعى الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر لتحقيق التطابق الموضوعي الواقعي ، وذلك من خلال البحث الدائم عن حل المشكلات التي تعاني منها النظريات العلمية بهدف إيجاد الحل المناسب لها ، بما يساهم في تطوير هذه النظريات العلمية وتحقيق انسجامها مع الواقع الموضوعي ، بما يحقق تقدم واستمرار المعرفة العلمية بشكل دائم ، وبذلك (ينطلق بوبر من منطق المعرفة الموضوعية بوصفه فعلاً نقدياً مضاداً للدغمائية ، فيجعل من القفزات الابتكارية الخلّاقة القاسم المشترك بين نمو المعرفة وبين تطور الكائنات الحية حيث لا يأتي الجديد سواء بالمعرفة أو بالأعضاء الحيوية نتيجة تأقلم تكراري مع المحيط ، إنما كفعل انبثاق مختلف عن السابق وغير مضمون ، إذاً يبقى دائماً تحت الاختبار ومهدداً بالدحض)[18] .

وبذلك نستنتج أن بوبر يؤكد في نظريته المعرفية حول الإبستمولوجيا الموضوعية بأن : جميع المعارف والقوانين العلمية المرتبطة بها هي ذات منشأ موضوعي ، وإنها أشد البعد عن الذات ودوافعها الذاتية المتغيرة بحسب الظروف والميول النفسية المتعددة ، وبالتالي (الموضوعية هي إدراك الأشياء على ما هي عليه دون أن تشوهها نظرة ضيقة ذاتية أو أهواء أو ميول أو مصالح أو تحيّزات أو حب أو كره ، ولذا فإن وصف شخص بأن تفكيره موضوعي ، فإنّ هذا يعني أنه اعتاد أنّ يجعل أحكامه تستند إلى النظر إلى

18 _ خير بك ، فؤاد : من الإبستمولوجيا إلى المجتمع ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 2002 ، ص 59 .

الحقائق على أساس العقل وبعد معرفة كل الملابسات والظروف والمكونات ، والموضوعية هي الإيمان بأنّ لموضوعات المعرفة وجوداً مادياً خارجياً في الواقع ، وأن الحقائق يجب أن تظل مستقلة عن قائليها ومدركيها ، وأنّ ثمة حقائق عامة يمكن التأكد من صدقها أو كذبها ، وإن الذهن يستطيع أن يصل إلى إدراك الحقيقة الواقعية القائمة بذاتها ، مستقلة عن النفس المدركة ، إدراكاً كاملاً ، وأنه بوسعه أن يحيط بها بشكل شامل)[19] .

ويتبين من خلال ما تقدم بأن المنهج الموضوعي هو الركيزة الأساسية في الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر ، لأن عملية النقد العلمي الموضوعي تتم من خلال استخدام المنهج الموضوعي بهدف إيجاد الخلل المعرفي الذي تتعرض له النظريات العلمية باستمرار ، بما يساعد في استنتاج الحلول العلمية من أجل تصحيح النظريات المعرفية وجعلها أكثر تطابقاً مع الواقع العلمي الموضوعي .

ثالثاً : التوظيف الإبستمولوجي لنظرية التطور في بناء المعرفة الموضوعية

تميّزت الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر بأنها ذات نزعة تطورية داروينية ، حيث استخدم بوبر في الإبستمولوجيا الموضوعية قوانين التطور التي أقرها دارون في نظرية التطور ، حيث طبقها بوبر على النظريات المعرفية وأكد باستمرار بأن النظريات المعرفية هي نظريات تخضع لقانون التطور وهي نظريات غير ثابتة وغير مطلقة ، وهكذا يتبين بأنه (من الناحية المعرفية المنهجية ، بوبر دارويني حتى النخاع ، لذلك أضاف إلى عنوان كتابه : المعرفة الموضوعية ، تذييلاً هو تناول تطوري)[20] .

وبالعودة إلى تشارلز دارون صاحب نظرية التطور ، يتبين بأن دارون قد أكد في نظريته عن التطور أنَّ جميع الكائنات الحية الموجودة في العالم تتنازع وتتصارع فيما بينها من أجل البقاء ، فالبقاء للأقوى دائماً والموت للضعيف ، وهذا ما أطلق عليه دارون بقانون

19 _ المسيرى ، عبد الوهاب : دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2006 ، ص 357.

20 _ الخولي ، يمنى : فلسفة كارل بوبر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1989 ، ص 181 .

الانتخاب الطبيعي ، واعتبر دارون بأن الكون بأسره قائم على هذا القانون ، ونتيجة لقانون الانتخاب الطبيعي تكتسب الكائنات المتبقية والتي ظفرت بالبقاء صفات جديدة تتناسب مع الواقع المتطور وتميّزها عن الكائنات الأخرى التي خسرت بقائها بسبب عدم امتلاكها لهذه الصفات البيولوجية الفريدة والتي تميّز الكائنات الحية الأقوى عن الكائنات الحية الأضعف منها ، وهذا بدوره يساهم على مرور العصور والأزمنة بتكيّف الكائنات الحية مع العوامل البيئية المتغيرة ، بما يحقق التكيف المناسب مع هذه العوامل البيئية المتعددة ، وهنا يقول دارون : (وبما أن عدد الذين يولدون من كل نوع هو أكبر من أن يعيش وبما أنه بالتالي ، هناك صراع يتكرر كثيراً من أجل البقاء ، فالذي يحدث بعد ذلك هو : لو أن أي كائن تمايز بأي قدر بسيط ، وبأي وسيلة مفيدة له ، تحت تأثير ظروف الحياة المعقدة والكثيرة التغيير فسوف تكون له فرصة أفضل للاستمرار في الحياة ، وبالتالي سوف يتم انتقاؤه طبيعياً وبناءً على المبدأ القوي للوراثة فإنّ أيَّ ضرب منتقى سيميل إلى الإكثار من شكله الجديد والمعدّل) [21] .

وعمل بوبر في الإبستمولوجيا الموضوعية على تطبيق قانون الانتخاب الطبيعي بكل تعاليمه على النظريات المعرفية ، حيث يقرر بوبر بأنه عندما تصبح النظريات المعرفية عقيمة وغير قادرة على تقديم الحلول السليمة للمشاكل التي تعترض الواقع العلمي ، فإنه يجب وضع مجموعة من الفروض العلمية المتنوعة من أجل إيجاد الحلول المناسبة لهذه النظريات العلمية ، ومن ثم يجب القيام باختبار هذه الفروض العلمية من خلال منهج الدحض عند كارل بوبر بالاعتماد على قانون الانتخاب ، وبالتالي ، فإن تمّ التوصل إلى إيجاد الفروض العلمية المناسبة لتطوير النظريات وحل المشاكل التي تعترض طريق التقدم العلمي ، فإنه يتم الحفاظ على هذه النظريات كونه تمّ التمكن من تطويرها علمياً ، لكن إذا لم يتم التمكن من تطوير هذه النظريات العلمية بما يخدم حل المشاكل العلمية التي تعترضها فإنه يجب التخلص من هذه النظريات العلمية واستبدالها بنظريات أخرى

21 _ دارون ، تشارلز : أصل الأنواع ، ت : مجدي المليجي ، تقديم : سمير صادق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2004 ، ص 58 .

قادرة على حل المشاكل العلمية التي تعيق التقدم المعرفي ، وهذا بدوره يسهم بشكل فعّال في تطوير البناء المعرفي الموضوعي بشكل دائم .

وأوضح فيلسوف العلم كارل بوبر أن الإبستمولوجيا التطورية تنصّ على أن المعرفة تتطور باستمرار من دون توقف وهذا التطور يطرأ على المضمون المعرفي بشكل كامل لجميع النظريات والأسس والقوانين والمعارف المتعددة ، لكن يؤكد بوبر أن عملية التطور المعرفي تعاكس عملية التطور البيولوجي ، حيث إن عملية التطور البيولوجي كما شرحها عالم الأحياء دارون تنصّ على أن جميع الكائنات الحية الموجودة في العالم يعود أصلها إلى منشأ واحد وهو الكائنات وحيدة الخلية ، حيث تطورت هذه الكائنات وحيدة الخلية بحسب الظروف البيئية المتنوعة ونتج عن تطورها الأصناف المتنوعة للكائنات الحية الموجودة خلال تعاقب الأزمنة وحتى يومنا هذا ، والتي استطاعت أن تتكيف مع العوامل والظروف البيئية المختلفة بما يحقق استمرار بقائها ، بينما يؤكد بوبر على أن عملية التطور المعرفي لا تعود إلى أصل واحد بل هي تبدأ من أصول مختلفة ومتعددة ولكنها تنتهي إلى أصل واحد ، وهذه الأصول المتعددة تشمل جميع أنواع المعارف والنظريات العلمية المتنوعة التي تتنازع معرفياً فيما بينها من أجل تقديم أفضل الحلول المعرفية للمشاكل التي تعترض الحقل العلمي والمعرفي باستمرار ، حيث يوضح بوبر أنَّ : (المعرفة البحتة لم تبدأ بأصل واحد ، بل بعدد كبير من الأصول : توقعات فطرية ، نزوعات ، خرافات ، أساطير ، نظريات ميتافيزيقية ، كانت تهيم في الهواء ، وأخذت تقترب وتتجمع وتسير إلى جذع واحد رسخ في الأرض) [22] .

وإن عملية التطور المعرفي عند بوبر لا تقف عند حد معين ، حيث يبين بوبر بأن التطور المعرفي يشمل أيضاً تطوير المناهج العلمية باستمرار من أجل إيجاد الحلول المناسبة لجميع المشاكل العلمية التي تعترض طريق التقدم العلمي ، وبذلك تصبح المعرفة عند بوبر معرفة مفتوحة وغير مقيدة بمنهج علمي معين ، بل إن لكل مرحلة من مراحل تطور المعرفة مناهجها العلمية المرتبطة بها ، وعند الانتقال لمرحلة علمية أخرى

22 _ الخولي ، يمنى : فلسفة كارل بوبر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1989 ، ص 181 .

أكثر تطوراً فإنه يتم تطوير المناهج المعرفية بشكل دائم بما يتوافق مع المرحلة العلمية الراهنة ، ويؤكد بوبر ضمن هذا السياق أنَّ المعرفة ليست مطلقة ، بل هي متغيرة باستمرار وفقاً لتغير الظروف والتحديات العلمية التي تواجه العلماء وفلاسفة العلم في المجالات العلمية والمعرفية والفلسفية المتنوعة .

ويبين بوبر أنَّ المرحلة التي يتم فيها إيجاد الحلول للمشاكل العلمية التي تعيق تقدم العلم وفلسفته تعد بمثابة انتصار علمي ومعرفي جديد ، وهذا الانتصار يطلق عليه اسم التكيّف المعرفي والعلمي ، حيث تصبح المعرفة ضمن هذه المرحلة متكيفة مع مختلف العقبات المعرفية التي صادفتها ، وتستطيع تقديم الحلول المناسبة لتجاوزها باستمرار ، ووفقاً لذلك يقول بوبر : (يشكِّل تكيف الحياة مع بيئتها شكلاً من أشكال المعرفة ، ودون هذا الحد الأدنى من المعرفة لا يمكن للحياة أنّ تستمر ، وهذه المعرفة معرفة بشروط حياتية شديدة العمومية ، وإما يجب لهذه الشروط أيّ البيئة التي تحدثت عنها أنّ تتكيف مع الحياة ، أو أنّ تتكيف الحياة مع البيئة ، فهذا أمر يقوم بالطبع على علاقة التبادل) [23] .

وبالاستناد إلى ذلك يبين بوبر أنَّ قانون التطور المعرفي أيضاً يخضع لمبدأ التكيف المعرفي مع العقبات المعرفية التي تعترض طريق التقدم العلمي باستمرار ، وبالتالي فإن عملية التطور المعرفي هي عملية غير مقيدة بقوانين معينة ، بل إن قانون التطور المعرفي هو قانون ذو أطر مفتوحة على جميع العوامل والأدوات المعرفية التي تساهم بشكل فعال في عملية التطور المعرفي ، وإن عملية التطور المعرفي تتقدم عند الانتقال من عقبة معرفية إلى عقبة معرفية أخرى ، بما يحقق إيجاد القوانين العلمية التي تقدم حلاً للمشاكل المعرفية التي تعيق طريق التقدم العلمي .

وهنا يبين بوبر بأن الإبستمولوجيا الموضوعية تتميز بأنها قادرة دائماً على استنتاج الحلول المعرفية المبتكرة من خلال استخدام المنهج الموضوعي الذي يساعد فلاسفة العلم

23 _ بوبر ، كارل : الحياة بأسرها حلول لمشاكل ، ت: د. بهاء درويش ، دار الحرمين ، الإسكندرية ، 1998، ص 142 .

على إيجاد الفروض العلمية المناسبة لعملية الاختبار الموضوعي ، بما يحقق التقدم المعرفي الذي يتوافق مع الوقائع المعرفية القائمة في عالم موضوعات المعرفة ، والبعيد عن الذات وسيكولوجيتها ذات الأثر السلبي على عملية البحث العلمي عن المعرفة .

ويتضح مما سبق أنَّ منهج النقد عن بوبر هو المنهج الموضوعي الذي أرسى قواعده من خلال الإبستمولوجيا الموضوعية التي أسسها وفقاً لمبادئ نقدية موضوعية ، وبذلك تبتعد الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر عن خاصية الانغلاق المعرفي ، ويصبح فيلسوف العلم كارل بوبر من أهم دعاة الانفتاح المعرفي في القرن العشرين ، وهذا بدوره جعل الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر إبستمولوجيا ثورية متطورة ، حيث استطاعت المعرفة الموضوعية عند بوبر من أن تشكل ثورة معرفية واضحة المعالم على جميع أشكال المذاهب المعرفية التي سبقتها ومن أبرزها المذهب التجريبي والمذهب الوضعي المنطقي ، وهنا يتبين بأن : (الواقع أن رفض بوبر لمذاهب الوضعيين ولأطروحاتهم الإبستمولوجية راجع إلى تصوره لموضوعية الأساس التجريبي لنظريات العلم ، ذلك لأن المعرفة العلمية في نظر بوبر ينبغي أن تكون موضوعية ومستقلة تماماً عن كل ما هو من نظام ذاتي سيكولوجي ، وقد أحكم صياغة هذا المطلب المنهجي الأساسي بقوله : إنّ موضوعية القضايا العلمية تكمن في الحقيقة القائلة بأنه يمكن اختبارها على نحو ذاتي متبادل أو بطريقة بين ذاتية ، ومن هنا فلا يمكن أن نقبل في العلم بقضايا لا يمكن اختبارها أو استبعادها بطريقة موضوعية) [24] .

ونستنتج مما تقدم : أن فيلسوف العلم كارل بوبر قد تمكن من توظيف نظرية التطور عند دارون توظيفاً إبستمولوجياً ، من خلال تأكيده على أن المعرفة كالحياة البيولوجية تتطور باستمرار من دون توقف ، وإن عملية التطور المعرفي ترتكز على العقبة المعرفية التي تكمن في المشاكل العلمية التي تعيق تطور العلم ، وبذلك يصبح تطور المعرفة مرهون بالمشكلات التي تعترض طريقها ، وضمن هذا السياق تصبح آلية التطور المعرفي كامنة

24 _ يوسف ، نعيمة : مشكلة الاستقراء في إبستمولوجيا كارل بوبر ، دار الروافد الثقافية ، بيروت ، 2015 ، ص (146، 147) .

في الانتقال من تقديم حل لمشكلة إلى تقديم حل لمشكلة أخرى ، وإن عملية التطور المعرفي قد ساهمت بشكل فعال في تطوير الوعي الإنساني للمعرفة وفي زيادة الفهم الإنساني للمحتوى المعرفي المتجدد ، بحيث تحولت العقبة المعرفية إلى نقطة البدء في عملية التطور المعرفي القائم على التجدد العلمي المستمر في المنهج العلمي والأدوات المعرفية المرتبطة به .

رابعاً : الدور الإبستمولوجي للعقلانية الموضوعية عند بوبر

أسس كارل بوبر الإبستمولوجيا الموضوعية على مجموعة من المفاهيم الإبستمولوجية التي ميّزت فلسفته العلمية عن باقي الفلسفات العلمية الأخرى ، ومن بين أهم هذه المفاهيم الإبستمولوجية مفهوم معيار قابلية التكذيب الذي يعده بوبر من أهم المعايير التي يتم الاستناد عليها في بناء المعرفة الموضوعية ، حيث يتم الاعتماد على معيار قابلية التكذيب المعرفي من أجل تمييز القضايا العلمية عن القضايا غير العلمية ، فالقضايا العلمية كما يوضّح بوبر هي القضايا التي تقبل تطبيق معيار قابلية التكذيب على مضمونها المعرفي ، بينما القضايا غير العلمية فهي القضايا التي لا تقبل تطبيق معيار قابلية التكذيب على مضمونها المعرفي ، ويشير معيار قابلية التكذيب المعرفي إلى مدى قدرة النظريات المعرفية المختلفة على الخضوع للاختبار العلمي للمعارف ، وهذا يساعد على قياس قيمة الصدق المنطقي عند النظريات العلمية المختلفة ، (إذن الاستنباط هو منهج التكذيب ، لأنه أساس منهج العلم ، وكل هذا يعني أن فكرة القابلية للتكذيب كمعيار ، تكاد تكون بديهية ، لأنها لا تعني أكثر من أن العبارة موضع البحث يجب أن يلزم عنها نتائج ، تسمح من حيث صورتها أو خاصيتها بأن تكون كاذبة ، وهذا بدوره لا يعني أكثر من أن القانون الفيزيائي بصفة عامة يمكن أن تختبره التجارب)[25] .

25 _ayer , aj : truth , verification and verisimilitude , in the philosophy of karl popper , volume two , P (684- 687) .

وبهذا المسار المعرفي وضع بوبر المعرفة موضع الشك ، وأوضح أن السمة الحقيقية للمعرفة الموضوعية الصادقة تتمحور حول مدى قابليتها للتكذيب والاختبار ، وبذلك ألغى بوبر صفة المطلق عن المعرفة ، لأن المعرفة لكي تكون موضوعية يجب أن تكون قابلة للخضوع لمعيار قابلية التكذيب المعرفي ، ويجب أن تكون قابلة للتحقق من صحتها معرفياً وعلمياً ، وبالتالي : (إن أحد أهداف العلم الأساسية هو درجة عالية من التكذيب ، وهذا لن يتحقق بدوره إلاّ بتوافر درجة عالية من المحتوى المعرفي للنظرية)[26] .

ويرتبط معيار قابلية التكذيب المعرفي بالبحث العلمي عن المعرفة الموضوعية ومصداقيتها ارتباطاً وثيقاً ، حيث إن الهدف الأساسي من البحث العلمي عن المعرفة الموضوعية هو الوصول إلى معارف تتصف بالصدق المنطقي ، وهذا بدوره يساعد فلاسفة العلم والباحثين عن المعرفة الموضوعية في تمييز المعرفة العلمية عن المعرفة اللاعلمية من خلال مدى قدرتها على التطابق مع الواقع العلمي الصحيح ، وذلك من خلال قياس مدى قدرتها على الصمود أمام الاختبارات العلمية المتتالية التي تخضع لها باستمرار ، بحكم الواقع العلمي المتطور باستمرار .

وضمن هذا السياق نفى بوبر صفة التراكمية العلمية عن المعرفة الموضوعية ، حيث أكد بوبر على أن المعرفة الموضوعية لا تسير وفق منهج التراكمية المعرفية ، بل إن المعرفة الموضوعية غير تراكمية ، والدليل على ذلك هو أن المعارف على اختلافها تنتهي صلاحيتها عندما لا تعد قادرة على مواكبة روح العصر العلمية ، حيث يتم استبدالها بمعارف علمية أكثر توافقاً مع الروح العلمية السائدة في العصر الراهن ، وهذا بدوره يشكل المحرك الأساسي لعملية البحث المعرفي عن المعرفة الموضوعية ، وبذلك تصبح المعرفة الموضوعية عند بوبر هي معرفة غير قابلة للتبرير بل هي معرفة قابلة للنقد والاختبار فقط وبالتالي : (بحسب بوبر ، فإن مغزى النقد يتعاظم ، وله مغزى ضبطي كبير في كل مجال نمو وتقدم ، من الشخصي إلى الاجتماعي ، ولم يدّع بوبر أبداً أن بإمكاننا المحاججة بحقيقة المقولات الغريبة للوصول إلى صحة النظريات ، ولا يمكن أنّ

26 _ قاسم ، محمد : كارل بوبر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1986 ، ص 168 .

ترسى صحة النظريات أو حتى مجرد احتماليتها تحت وطأة النتائج المحققة ، والنظرية العلمية هي ليست تلك التي تفسّر كل شيء يحدث ، وقد تحكم أيضاً معظم ما يمكن أنّ يؤول على أنه حاصل ، إنها في حالة مجازفة مستمرة ، إنها الخصيصة الرئيسية للنظرية العلمية الأصيلة ، وعند الحديث عن محتوى الحقيقة وهو أكثر ما يحظر على المرء التعامل معه بحسب بوبر ، فقابلية التكذيب هي المعيار الفاصل بين العلم وغير العلم)[27]

ويؤكد بوبر بأن العقلانية الموضوعية تتأسس على الوعي الموضوعي الشامل لجميع مكونات المعرفة ومبادئها الموضوعية ، حيث يوجه الوعي الموضوعي العقل المدرك نحو التركيز على آلية استنتاج المعرفة الموضوعية بما يضمن تطبيق معيار قابلية التحقق المنطقي على جميع المعارف التي تم استنتاجها، وبالتالي : (يؤدي الوعي إلى تيقّظ معزّز وانتباه مركّز ، يحسّن كلاهما المعالجة الصورية لمحتويات معينة ويمكنهما بالتالي المساعدة على الوصول بالاستجابات الفورية والمخطّطة إلى الحدّ الأمثل، والنتيجة الإجمالية هي تنبّه أكثر ، وتركيز أكثر حدّة ، ونوعية أعلى من معالجة الصورة) [28] .

ويؤكد بوبر على أن امتلاك العقل الموضوعي هو السلاح الذي يحمي العقلانية الموضوعية من الوقوع في فخ العثرات المعرفية ، وبذلك تستطيع العقلانية الموضوعية عند بوبر من أن تنشأ جسراً معرفياً قوياً مهمته الربط بين مختلف المعارف ، بما يضمن التفسير العلمي الصحيح للظواهر العلمية الموجودة في الواقع العلمي الموضوعي ، وهنا تبرز قيمة العقل الموضوعي في تحديد نقاط القوة ونقاط الضعف في كل نظرية علمية من أجل وضع الفروض العلمية المناسبة بما يضمن استبعاد الأخطاء المعرفية وتصحيح مسار المعرفة الموضوعية باستمرار وذلك من خلال إتباع قواعد المنهج العلمي الموضوعي الذي أقره بوبر ، وهذا المنهج الموضوعي هو المنهج النقدي الذي ميّز

27 _ هيلي ، باتريك : صور المعرفة ، ت: نور الدين عبيد ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2008 ، ص (143 – 144) .

28 _ داماسيو ، أنطونيو : الشعور بما يحدث ، ت: رفيف غدّار ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2010 ، ص 187 .

العقلانية الموضوعية عند بوبر عن غيرها من المذاهب العقلية الأخرى التي اختلفت عنها بالمنهج والمضمون المعرفي .

وإن القراءة التحليلية للعقلانية الموضوعية عند بوبر تبين أن بوبر قد قام بتقسيم المعرفة إلى ثلاثة مستويات ، وذلك وفقاً لتقسيمه للعالم إلى ثلاثة عوالم بدءاً من العالم الفيزيائي ، ووصولاً للعالم النفسي وانتهاءً بالعالم الثالث الموضوعي وهو عالم المعرفة الموضوعية ، واعتبر بوبر بأن العقلانية الموضوعية تتحقق فقط في العالم الثالث : عالم المعرفة الموضوعية ، وأكد بوبر بأنه لا يتحقق الإدراك الكامل للمعرفة الموضوعية إلا من خلال الربط الموضوعي والمنطقي بين مستويات المعرفة الثلاث ، والتي تتجسد بشكل فعلي ومنطقي في العوالم المعرفية الثلاثة التي حددها فيلسوف العلم كارل بوبر بقوله : (في هذه الفلسفة يتألف عالمنا من ثلاثة على الأقل من العوالم الفرعية الواضحة المعالم ، أو قل من ثلاثة عوالم ، الأول هو العالم الفيزيقي ، أو عالم الحالات الفيزيقية والثاني هو عالم الشعور أو عالم الحالات الذهنية ، والثالث هو عالم الأفكار بالمعنى الموضوعي ، وهو عالم النظريات في ذاتها ، وعلاقاتها المنطقية ، عالم الحجج في ذاتها ، والمشكلات في ذاتها ومواقف المشكلات في ذاتها ، ولقد أخذت بنصيحة السير جون إيكسلز ، وأطلقت عليها أسماء : العالم الأول ، والعالم الثاني ، والعالم الثالث) [29] .

وتتجسد العقلانية الموضوعية عند بوبر في العالم الثالث الموضوعي ، حيث يقرر بوبر بأن العالم الثالث الموضوعي يتضمن جميع أنواع المعارف والعلوم والنظريات والقوانين والكتب والأفكار ، إنه تحصيل حاصل لجميع المصادر المعرفية والعقول العلمية المساهمة في بناء المعرفة وتحديد قواعدها المنطقية وفق الأسس العلمية الموضوعية الصحيحة ، وأكد بوبر على أهمية الترابط المنطقي بين العوالم الثلاثة التي ذكرها ، حيث أكد على أنه لا يمكن الاستغناء عن أي عالم من هذه العوالم المعرفية الثلاثة ، لأن لكل عالم مهمته المعرفية المرتبطة به ، بحيث لا يمكن إتمام الفهم الموضوعي للمعرفة

29 _ بوبر ، كارل : بحثاً عن عالم أفضل ، ت: د. أحمد مستجير ، الهيئة المصرية العامة ، (د، م) ، 1992 ، ص 198.

الموضوعية العقلانية إلاّ من خلال فهم الترابط المنطقي القائم بين العوالم الثلاث بشكل موضوعي وصحيح .

وضمن هذا السياق يوضح بوبر بأن المضمون المعرفي لعالم المعرفة الموضوعية هو مضمون متطور باستمرار ، وذلك وفقاً لتطور المعارف التي يتضمنها ، حيث يقول بوبر : (ومن وجهة نظري يمكن أن نفهم عملية فهم موضوع من العالم3 على أنه عملية نشطة ، إن علينا تفسيرها على أنها عملية صنع ، إعادة خلق هذا الموضوع ، فلكي نفهم جملة لاتينية صعبة فإن علينا أن نعرّبها : أنّ نرى كيف صنعت ، وأن نعيد بناءها ، نعيد صنعها ، ولكي نفهم مشكلة ما فإن علينا أن نجرّب على الأقل بعض الحلول الأكثر وضوحاً ، وأن نكتشف أنها تفشل ، بذلك نعيد اكتشاف أن هناك صعوبة _ مشكلة ولكي نفهم نظرية ما فإن علينا أولاً أن نفهم المشكلة التي صمّمت النظرية لكي تحلها ، ونرى ما إذا كانت النظرية أكثر جدوى من أيّ من الحلول الأكثر وضوحاً) [30] .

وإن عملية التطور المعرفي في العالم الثالث الموضوعي تتم عن طريق حذف معارف معينة ، وإضافة معارف أخرى إلى المحتوى المعرفي ، فكل نظرية يتم حذفها من عالم المعرفة الموضوعية لعدم استجابتها للواقع الموضوعي المتغير ، تسهم في تطوير عالم المعرفة الموضوعي ، وكذلك كل نظرية معرفية يتم استنتاجها وإضافتها إلى عالم المعرفة الموضوعية تسهم أيضاً في تطوير المعرفة الموضوعية ، حيث تسير عملية التطور المعرفي للمعرفة الموضوعية بشكل لا نهائي ومن دون توقف .

نستنتج مما تقدم بأن بوبر قد رفض جميع المناهج الذاتية في المعرفة والتي تعتمد على الاستقراء الذاتي واعتبر أنها طرق خاطئة في تحصيل المعارف العقلانية الموضوعية ومن ثمّ (هكذا كان موقف بوبر من الاستقراء ، المنهج والمبدأ ، الرفض التام لكل منهما ذاهباً إلى أنهما لا يتفقان والطريقة التي ينمو بها العالم ويتقدم) [31]، لذلك دعا بوبر إلى

30 _ بوبر ، كارل : النفس ودماغها ، ت: د. عادل مصطفى ، دار رؤية ، القاهرة ، 2012 ، ص (82 _ 83) .

31 _ قاسم ، محمد : كارل بوبر ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1986 ، ص 143.

إتباع المنهج الموضوعي في المعرفة من أجل نقد المعارف وإعادة تصحيح مسارها المعرفي ، وإن الصفة الأساسية للمنهج الموضوعي عند بوبر هي الاستنباط حيث يعمل المنهج الموضوعي باستمرار على استنباط المعارف التي تنسجم مع قيمة الصدق المنطقي الذي يحدد مدى موضوعية المعارف العلمية .

الخاتمة ونتائج البحث:

تناول هذا البحث إشكالية (**البعد الإبستمولوجي في نظرية المعرفة الموضوعية عند كارل بوبر**) بالدراسة النقدية والتحليل الإبستمولوجي ، حيث تمّ التركيز على دراسة أهمية المعايير المنطقية للمعرفة الموضوعية عند بوبر ، كما وتمّ التركيز على دراسة أهمية المفهوم الإبستمولوجي للمنهج الموضوعي في الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر ، كما وتمّ التركيز على دراسة آلية التوظيف الإبستمولوجي لنظرية التطور في المعرفة الموضوعية عند بوبر ، كما وتمّ استنتاج الدلالات المعرفية للدور الإبستمولوجي للعقلانية الموضوعية عند بوبر .

وإن أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها في هذا البحث : هو أنّ الإبستمولوجيا الموضوعية عند كارل بوبر قد ساهمت بشكل فعّال في تطور المعرفة العلمية من خلال اعتماد المنهج الموضوعي الذي يستخدم لتمييز المعرفة العلمية عن المعرفة غير العلمية ، وذلك من خلال إخضاع المعارف لمعيار قابلية التكذيب ، فالمعارف القابلة لتطبيق معيار قابلية التكذيب هي معارف تصّنف بأنها علمية ، بينما المعارف الغير قابلة لتطبيق معيار قابلية التكذيب المعرفي عليها فهي معارف غير علمية .

وتبين أيضاً من خلال الدراسة التحليلية والنقدية للإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر : بأن بوبر قد طبق قوانين نظرية التطور التي وضعها عالم الأحياء دارون على نظرية المعرفة الموضوعية عنده ، حيث أوضح بوبر بأن الميزة الأساسية للمعرفة الموضوعية هي أنها معرفة متطورة تتطور من خلال استخدام المنهج النقدي الموضوعي الذي أكد بوبر على ضرورة استخدامه على مختلف أنواع المعارف والنظريات العلمية بهدف تطويرها بشكل دائم .

كما وتم التوصل إلى نتيجة مفادها : أن الإبستمولوجيا الموضوعية عند بوبر هي إبستمولوجيا عقلانية تطورية ، تعتمد على مبدأ الانتخاب المعرفي بين المعارف بهدف حذف المعارف التي لا تناسب الواقع العلمي المتطور ، وبهدف الحفاظ على المعارف التي تواكب التطور المعرفي القائم في عالم المعرفة الموضوعية وتطويرها بشكل دائم ، وهذا بدوره يحقق مبدأ التكيف للنظريات المعرفية الموجودة في عالم المعرفة الموضوعية مع الواقع العلمي المتطور ضمن العالم الثالث الموضوعي ، وهذا بدوره أكد على أن المعرفة الموضوعية عند بوبر تدحض مبدأ التراكمية العلمية وتؤكد على أنّ المعرفة متطورة وغير مطلقة .

وتتجسد القيمة التطبيقية لهذا البحث على مستويين :

أولاً : المستوى العلمي : حيث تبين من خلال النتائج العلمية التي تمّ التوصل إليها في هذا البحث : بأن المنهج العلمي الموضوعي الذي أقره فيلسوف العلم كارل بوبر ، يعدّ من أهم المناهج المستخدمة في العلوم كافةً ، لأنه يتيح للباحث العلمي القدرة على تحليل المشكلات العلمية التي يصادفها في أبحاثه العلمية ، بما يسهم في إيجاد الحلول العلمية المناسبة لهذه المشكلات العلمية ، وذلك يوفّر الكثير من الجهد والوقت على الباحث العلمي ، وذلك من خلال إتباع القواعد المنهجية التي أقرها كارل بوبر في منهجه

الموضوعي ، وذلك يحقق المزيد من التقدم العلمي والفائدة العلمية على مستوى العلوم كافةً .

ثانياً : المستوى المعرفي : قدّم هذا البحث فائدة معرفية تتجسد في تحليل البعد الإبستمولوجي في نظرية المعرفة الموضوعية عند فيلسوف العلم كارل بوبر ، بما أسهم في التأكيد على أهمية البحث الإبستمولوجي ودوره الفعّال في تطوير مناهج المعرفة العلمية ، وذلك يساعد على تطوير العلم بشكل دائم ، ويؤكد على أنَّ المعرفة العلمية هي معرفة متطورة باستمرار ولا تتوقف عند حد معين ، لذلك يجب نقد المعرفة العلمية دائماً بهدف تطويرها ، بما يسهم في نقل المعرفة العلمية من منطق التبرير الذاتي إلى منطق الكشف والتقدم العلمي الموضوعي ، وهنا تتجسد القيمة التطبيقية لمنهج بوبر الموضوعي النقدي في نقد المعارف العلمية بهدف تطوير ميدان البحث الإبستمولوجي ، وهذا بدوره يؤكد على أهمية الإبستمولوجيا كمبحث معرفي يهدف إلى نقد الأخطاء الكامنة في النظريات العلمية بهدف تصحيح مسارها العلمي بشكل دائم .

المصادر والمراجع:

1_ اختيار ، ماهر : إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2010 .

2_ الخولي ، يمنى : فلسفة كارل بوبر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1989 .

3_ المسيرى ، عبد الوهاب : دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2006 .

4_ بوبر ، كارل : منطق الكشف العلمي ، ت : د. ماهر محمد ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986 .

5_ بوبر ، كارل : الحياة بأسرها حلول لمشاكل ، ت: د. بهاء درويش ، دار الحرمين ، الإسكندرية ، 1998 .

6_ بوبر ، كارل : بحثاً عن عالم أفضل ، ت: د. أحمد مستجير ، الهيئة المصرية العامة ، (د، م) ، 1992 .

7_ بوبر ، كارل : النفس ودماغها ، ت: د. عادل مصطفى ، دار رؤية ، القاهرة ، 2012 .

8_ جمول ، د. إبراهيم : نظرية المعرفة العلمية بين المنهج والتطبيق ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2011 .

9_ خير بك ، فؤاد : من الإبستمولوجيا إلى المجتمع ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 2002 .

10_ دارون ، تشارلز : أصل الأنواع ، ت : مجدي المليجي ، تقديم : سمير صادق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2004 .

11_ داماسيو ، أنطونيو : الشعور بما يحدث ، ت: رفيف غدّار ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2010 .

12_ شيفرد ، ليندا : أنثوية العلم ، ت: د. يمنى الخولي ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1990

13_ صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي ، الجزء الثاني ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1982 .

14_ قاسم ، محمد : كارل بوبر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1986 .

15_ قاسم ، محمد : كارل بوبر نظرية المعرفة قي ضوء المنهج العلمي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1986 .

16_ هيلي ، باتريك : صور المعرفة ، ت: نور الدين عبيد ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2008 .

17_ يوسف ، نعيمة : مشكلة الاستقراء في إبستمولوجيا كارل بوبر ، دار الروافد الثقافية ، بيروت ، 2015 .

18_ ayer , aj : truth , verification and verisimilitude , in the philosophy of karl popper , volume two .

19_ popper, karl : objective knowledge, an evolutionary app-roach , oxford, at the clarendon press , 1972 .

20_ popper , karl : intellctual autobiography , in schilpp , 1974 , part 1 .

21_ Karl R. Popper , Logic of Scientific Discovery , eighth impression , Hutchinson , London , 1976 .

22_ Popper (Karl) : Unended Quest An Intellectual Autobiography , OP .Cit .

23_ Bryan Magee , Karl Popper , edited by frank kermod , Viking Press New York , secone edition , 1973 .